مناهج الاستدلال على وجود الله تعالى عند ابن تيمية
-دراسة استقرائية نقدية-

Methods of Reasoning for the Existence of God According to Ibn Taymiyyah: An Inductive and Critical Study

10.35781/1637-000-161-006

الباحث/ مبارك بن عبد الله بن أحمد الخاطر*

*كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

ملخص الدراسة:

جاءت الدراسة لتبحث أدلة وجود الله عند ابن تيمية، والمناهج التي اتبعها في ذلك، مقارنة بمن سبقوه؛ ولأن الإيمان بوجود الله أصل الإيمان به "سبحانه وتعالى"، فقد بَحَثَتْ هذه الدراسة، أولاً: في طريقة القرآن في إثبات وجوده "سبحانه وتعالى"، ثم طريقة السنة النبوية المطهرة، ثم منهج الصحابة "رضوان الله عليهم" في ذلك، وناقَشَت الدراسة أقوال المتكلمين في أدلة وجود الله، في ضوء ردود ابن تيمية عليها، كما ذَكَرَت الدراسة قول ابن تيمية في قياس الأولى في صفات الله تعالى، وبيَّنت معناه عند ابن تيمية ومقصوده، وأنه مصطلح جديد يوافق ظواهر النصوص من القرآن والسنة وسلف الأمة، وخَلُصَتْ الدراسة بأن طريقة المتكلمين والفلاسفة في إثبات وجود الله مسلك مخالف لطريقة القرآن، وأنها طريقة وعرة متكلفة، وأن وضع هذه الشروط للإيمان بوجوده غير صحيحة، ومعقدة الفهم لعامة الناس، وأن وجوده "سبحانه وتعالى" معروف بالضرورة وبالفطرة وهو اختيار ابن تيمية في المسألة، وبيَّنتْ الدراسة اختيار ابن تيمية أن اثبات وجود الله لا يحتاج إلى دليل فكل ما في الكون من مخلوقات وآيات دالة على وجوده "سبحانه وتعالى".

الكلمات المفتاحية:

مناهج، ابن تيمية، وجود الله، أدلة، وجود.

ISSN : 2410-1818

Methods of Reasoning for the Existence of God According to Ibn Taymiyyah: An Inductive and Critical Study

Abstract

The study investigates the evidence of the existence of Allah according to Ibn Taymiyyah, and the methodologies adopted in this regard, compared to those who preceded him. Since the belief in the existence of Allah is the substance of faith in Him the Mighty. First, the study investigates the method of the Quran in proving Allah's existence, in the Sunnah as well as the companions' approach in this regard. In addition, the study also discusses the statements of theologians on the evidence of Allah's existence, in light of Ibn Taymiyyah's responses. Besides, the study presents Ibn Taymiyyah's views on analogy in the attributes of Allah, explaining its meaning according to him, as a new term that aligns with the apparent meanings of the texts from the Quran, Sunnah, and the predecessors of the Ummah. The study's findings elucidate that the approach of theologians and philosophers in proving the existence of the Mighty Allah is contrary to the Quranic method and is a complex and difficult path. Furthermore, the study argues that establishing such conditions for belief in the existence of Allah is both incorrect and overly complex for the general public. The existence of the Almighty Allah is inherently known and instinctively recognized, reflecting Ibn Taymiyyah's perspective on the issue. The study also highlighted Ibn Taymiyyah's opinion that the existence of Allah does not need to be proved, as everything in the universe, from creatures to signs, indicates His existence.

Keywords: Method- Ibn Taymiyyah- Allah existence- evidences- existence

ISSN : 2410-1818

مقدمة:

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

لا شك أن الله أعظم موجود، وهو أكبر الأشياء، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [سورة الأنعام:19]. ولا يصح إيمان العبد إلا به، ولما كان كذلك كان إثبات وجود الله -عزَّ وجلَّ- من أعظم المطالب.

وكل أهل القبلة يؤمنون بوجود الله، بل كل البشر ولا ينازع بذلك إلا ملحد ولما كان أهل القبلة متفقين على ذلك اختلفوا في طريقة الاستدلال على وجوده "سبحانه وتعالى".

وسنتطرق بمشيئة الله لطريقة المتكلمين في أدلة وجود الله في مباحثه من دون تطويل، وأتناول طريقة ابن تيمية محل الدراسة بشيء من التفصيل والتحقيق، فيما ادعاه بأن طريقته في الاستدلال على وجود الله هي طريقة القرآن، وأن طريقة الفلاسفة والمتكلمين طريقة مبتدعة مخالفة لطريقة القرآن في إثبات وجود الله.

وقد عمدت أن أجعل المبحث الأول كالمقدمة للدراسة، لأن بحث موضوع أدلة وجود الله تعالى عند ابن تيمية لا يمكن أن يفهم منفك عن سياقه التاريخي، وإن كثيراً مما في المبحث الثاني لا يتصور إلا بتصور المبحث الأول فهو كالمدخل له، وعمدت على الاختصار في المبحث الأول، وتوسعت في الثاني محل الدراسة.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية الدراسة في بحث أدلة وجود الله عند ابن تيمية، في الكشف والتحقيق بالأدلة التي أتى بها ابن تيمية ومدى توافقها مع أدلة النصوص من الكتاب والسنة، وينبثق عن هذه الدراسة، عدة أسئلة.

السؤال المركزي، ما منهج ابن تيمية في الاستدلال على وجود الله تعالى؟

وتندرج تحته أسئلة فرعية، ما المناهج الذي انتقدها ابن تيمية ؟ وما البدائل الذي قدَّمها ابن تيمية؟ وكيف يكون قياس الأولى بحق الله من وجهة نظر ابن تيمية؟.

ISSN : 2410-1818

أهمية الدراسة ودواعي الكتابة فيها:

أدلة وجود الله من المواضيع المركزية التي حصل فيها خلاف بين المتكلمين وبين ابن تيمية، وكان لابن تيمية طريقته في تناول الموضوع وإيجاد الحلول لأهم إشكالياته، وأدلة وجود الله من أعظم المواضيع التي تشهدها الساحة العربية والعالمية على حد سواء، بسبب حملات الإلحاد التي تشكك الناس بوجود الله.

منهج الدراسة:

بحث أدلة وجود الله عند ابن تيمية لا تنفك عمن سبقوه من المتكلمين، وهو في سياق لا يجوز إخراجه منه، إذ إن تقريرات ابن تيمية في المسألة ومنهجه عُرفت في رده على المتكلمين لا في مباحث خاصة عقدها في المسألة، لهذا اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن.

متتبعاً -بإذن الله- كلام ابن تيمية المتفرق في كتبه في مناهج الاستدلال على وجود الله، والأدلة التي ذكرها وألخصه مرتباً تحت مباحثه، وأثبت منهج ابن تيمية مع مخالفيه في هذه المناهج، مع شرح ما أبهم منه، وإزالة الإشكال فيما أمكن، ومقارنة حال ابن تيمية في هذا الأدلة والمناهج بمن سبقوه.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

وجدت ومن خلال بحثي عدت رسائل تناولت محل دراستي، لكن كانت واسعة ومتشعبة وتناولت الموضوع بإسهاب كبير، فحاولت أن أتناول الموضوع بمزيد من التركيز والاختصار، ومناقشتها مناقشة علمية صرفة، ليست مناقشة تقريرية، بل إيراد الاعتراضات وتحقيقها، ومن هذه الرسائل التي تناولت محل دراستي:

❖ معرفة الله عزَّ وجلَّ وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية- مصر، الطبعة الأولى، 1416هـ- 1995م، (ص:1-120).

وهذا البحث تحدَّث عن المفاهيم الضرورية في قضايا العقيدة بضرورة وجود الخالق عزَّ وجلَّ مبيناً الأدلة والبراهين والحجج على ذلك، ورأي ابن تيمية في دليل الفطرة والتنزيه وإثبات الصفات والأفعال لله، ونظرية المعرفة والكشف، وبحثي تحدَّث عن منهج ابن تيمية حول أدلة وجود الله وطريقته في تقريرها.

❖ منهج ابن تيمية في إثبات وجود الله ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين، عصام الدين أحمد محمد بابكر، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، السودان، 1420هـ-2000م، (ص: 1- 426).

ISSN : 2410-1818

وهذا البحث يتفق مع بحثي في تناول منهج ابن تيمية في إثبات وجود اللّٰه ورأيه في أدلة الفلاسفة والمتكلمين إلا أنَّ بحثي تناول الموضوع بمزيد من التركيز والاختصار، ومناقشة الأدلة مناقشة علمية صرفة، وليست مناقشة تقريرية، بل إيراد الاعتراضات ثمَّ تحقيقها.

❖ المسائل الإلهية بين الفلاسفة الإسلاميين وشيخ الاسلام ابن تيمية، محمّد عمر حسن، رسالة دكتوراة، جامعة الملك عبد العزيز، 1439هـ- 2018م، (ص: 1-554).

وقد تحدَّث الباحث في الباب الأول من هذا البحث عن مسألة وجود اللّٰه، مبيناً أقوال الفلاسفة وأدلتهم، وأقوال علماء المسلمين في المسألة، وموقف شيخ الإسلام منها، وهي دراسة مقارنة في المسألة بين قول الفلاسفة وعلماء المسلمين، وبحثي تناول رأي ابن تيمية تحديداً ومنهجه في تقرير هذه المسألة.

❖ ابن تيمية ووجود اللّٰه، وائل حلاق، ترجمة: محمد سلامة، مراجعة: عمرو بسيوني، مجلة نماء، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان، 2020م، (ص: 148 - 165).

هدفت هذه الورقة إلى التعرف على ابن تيمية ورأيه في مسألة وجود اللّٰه وأنه أمر بدهي، ورفضْ ابن تيمية أدلة الفلاسفة اليونانيين والإسلامين، ودراستي بيَّنت رأي ابن تيمية مع أدلته في ذلك، ومناقشته لأدلة المتكلمين.

❖ نظرية ابن تيمية في المعرفة والوجود، يوسف سمرين، مركز الفكر الغربي، الطبعة الأولى، 2020م، (ص: 1-573).

وهذا الكتاب يبرز الجوانب الفلسفية في نظرية المعرفة والوجود عند شيخ الإسلام ابن تيمية، وبحثي يركِّز على أدلة وجود اللّٰه عند ابن تيمية من جانب عقدي ديني، والمناهج التي اتبعها في ذلك، مقارنة بمن سبقوه.

❖ تعقبات شيخ الإسلام ابن تيمية على إمام الحرمين الجويني في الإيمان باللّٰه"، للباحثة: معتوقة بنت محمد بن حسن باسل، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، 1442هـ- 2020م.

وهذه الدراسة أوردت الباحثة فيها تعقبات الإمام ابن تيمية لآراء الإمام الجويني ورده عليه، في الإيمان باللّٰه عزَّ وجلَّ بشكل عام، وبحثي في معرض تقريره لمسألة وجود اللّٰه بشكل خاص .

❖ دلالة الفطرة على وجود اللّٰه تعالى عند ابن تيمية، درة بنت محمد بن عيسى مسملي، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا - كلية دار العلوم، مصر، المجلد/العدد: العدد 47, المجلد3، 2023م، (ص:1637 - 1653).

ISSN : 2410-1818

وهذا البحث يتحدَّث عن دلالة الفطرة على وجود اللّه تعالى عند ابن تيمية، وبحثي يتحدَّث عن عدة أدلة كطريقة القرآن في إثبات وجوده "سبحانه وتعالى"، ثم طريقة السنة النبوية، ثم منهج الصحابة "رضوان اللّه عليهم" في ذلك، ثم طريقة المتكلمين في ضوء ردود ابن تيمية عليها.

أهداف الدراسة:

1- بيان المناهج التي ذكرها ابن تيمية في أدلة وجود اللّه تعالى.

2- ذكر انتقادات ابن تيمية لمخالفيه في أدلة وجود اللّه.

3- عرض البدائل التي قدَّمها ابن تيمية في أدلة وجود اللّه.

4- تحقيق قول ابن تيمية في قوله بقياس الأولى بصفات اللّه تعالى.

هيكل الدراسة:

1- المقدمة.

2- مدخل تمهيدي عن أهمية الموضوع.

3- **المبحث الأول: مناهج الناس في الاستدلال على وجود اللّه قبل ابن تيمية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: مناهج الاستدلال على وجود اللّه من كلام القرون الثلاثة الأولى.

المطلب الثاني: مناهج الاستدلال على وجود اللّه من بعد القرون الثلاثة إلى عصر ابن تيمية.

4- **المبحث الثاني: الأدلة التي قدَّمها ابن تيمية، وفيه مبحثان:**

المطلب الأول: البدائل التي قدمها ابن تيمية في الاستدلال على وجود اللّه.

1- دليل الفطرة.

2- دليل الخلق.

المطلب الثاني: قياس الأولى في الصفات عند ابن تيمية.

خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: مناهج الناس في الاستدلال على وجود الله قبل ابن تيمية

المطلب الأول: مناهج الاستدلال على وجود الله من كلام القرون الثلاثة الأولى:

المنهج هو: "الطريق الواضح، والوسيلة المحدّدة التي توصِّل إلى غاية معيَّنة"[1].

الاستدلال هو: "هو الذي يلزم العلم به العلم بشيء أخر"[2] وهو: "تقرير الدليل لإثبات المدلول"[3].

والمقصود بالقرون الثلاثة الأولى: هم عصر الصحابة وعصر والتابعين وتابعي التابعين بدليل قول النبي "صلى الله عليه وسلم" عن بن مسعود "رضي الله عنه": «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم »[4].

ولم تعرف العرب قبل بعثة النبي "صلى الله عليه وسلم" إنكار وجود الله وقد حكى الله حال المشركين في هذا عند قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [سورة العنكبوت:61]. فكان يعترفون ويعرفون الله بآياته البينة، ولم يتطلب أحدهم دليل وجود الله، وقد تتبعت الآيات التي تدل على وجوده سبحانه، فوجدت جلها تبين وجوده بمخلوقاته "سبحانه وتعالى"، كقوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم**﴾ [سورة إبراهيم:10].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدلل على وجود الله بمخلوقاته وآياته في الكون، وهذه الآيات وإن نزلت على المشركين فهم لا ينكرون وجود الله، لكن يشركون معه غيره في العبادة، فأراد الله

---

[1] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت170) العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، (د.م: د.ط) ج 3، ص 392؛ وينظر الأزهري، أبي منصور محمد الأزهري الهروي (ت370)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، لسنة 2001م، ج 6، ص 41؛ وينظر الرازي، احمد بن فارس القزويني الرازي (ت395)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط) 1399 هـ 1979، جـ 5، ص 361. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1 1429 هـ - 2008 م، ج3، ص2291، مادة (ن هـ ج)، بتصرف.

[2] الجرجاني الشريف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت 816هـ)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1493 هـ –1983م، ص 104.

[3] المرجع السابق، ص17. وينظر: أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094 هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج1، ص 114.

[4] أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: (6429).

ISSN : 2410-1818

أنْ يبيِّن لهم "سبحانه وتعالى" أنه هو وحده الذي خلق هذه المخلوقات وهذه المخلوقات العظيمة تدل على وجود خالق عظيم "سبحانه وتعالى" هو المستحق للعبادة وحده.

حتى عندما ذكر الله في كتابه العزيز، إنكار وجوده فذكرها على أنها حالة فردية شاذة للطغاة، كما في قصة حوار نبي الله موسى لفرعون، وحوار نبي الله إبراهيم "عليهما السلام" للنمرود، وأبطل حجتهم بأدلة وبراهين من مخلوقاته وآياته، تدحض دعواهم.

ورأيت أنْ أبدأ بهذه المقدمة إذ أن القرآن هو المرجع، وهو الفيصل والحكم، وموضوع وجود الله من مواضيع الأصول، بل هي أصل الأصول، ومنهج القرآن في ذلك واضح وليس فيه أي تقعر وصعوبة.

والسنة أتت متممة لما في القرآن وليس هنا مكان بسط أحاديث السنة الكثيرة الدالة على وجوده سبحانه، وطريقة الأنبياء في الدلالة على وجود الله لم تختلف عن طريقة القرآن، يقول ابن تيمية: "ولهذا كانت طريقة الأنبياء "صلوات الله عليهم وسلامه" الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته"[1].

وبعد أنْ بيَّنا منهج القرآن في الدلالة على وجوده "سبحانه وتعالى"، يحسن بنا أن نتكلم عن الجيل الذي عاصر التنزيل من الصحابة الكرام "رضوان الله عليهم"، فهم حملة الوحي من قرآن وسنة وهم الأمنة على الأمة بعد النبي "صلى الله عليه وسلم"، فحالهم وحالنا كمن أفرغ لهم النبي "صلى الله عليه وسلم" هذا العلم في أوعيتم فأخذوه صافياً لم تصبه كدرة، فأفرغوه هم لمن بعدهم ومن بعدهم لمن بعدهم وكلما قربوا للنبي "صلى الله عليه وسلم" قلت كدرته وزاد صفاءه وكلما تباعد الزمان زادت الكدرة وقل الصفاء، فمن أراده صافياً فليؤخذه من معينه الأول صافياً.

قال النبي "صلى الله عليه وسلم" : «أنا أمنة لأصحابي فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون...»[2] وحديث خير القرون قرني السالف ذكره.

ولم يُعرف عن الصحابة "رضوان الله عليهم" أنهم عقدوا مجالس في ذكر أدلة وجود الله، لأن ذلك من الأمور البديهية الواضحة المتقررة في النفوس فطرة، ولم ينازع في وجود الله أحد، فتجد الأعرابي في باديته بعيد عن مشكاة النبوة يدلل على وجود الله بما يراه فيقول مقولته الشهيرة: "البعرة تدل على

---

[1] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان (د.ط، د.ت)، ص150.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، رقم: (2531).

ISSN : 2410-1818

البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وأسماء ذات أبراج ألا تدل على اللطيف الخبير"[1] فالصحابة لم يزيدوا على طريقة القرآن شيء من التدليل على وجود الله بمخلوقاته وآياته وداعي الفطرة القائم بالنفس.

وكان الصحابة يعانون من ظهور الفرق الضالة كالخوارج والقدرية، وعُرفت ردود الصحابة عليهم وسجلت كتب التاريخ والسير شيء من هذا ليس باليسير، ولم تنقل لنا الكتب شيء من سجالات الصحابة على منكري وجود الله مما يدل على أن ذلك معروف بداهة ومتقرر فطرة، وأنَّ ما في الكتاب العزيز والسنة غنية.

[1] الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين. دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ – 2015م، ج8، ص158.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: مناهج الاستدلال على وجود الله من بعد القرون الثلاثة إلى عصر ابن تيمية.

انتهج أهل الكلام ممن سبقوا ابن تيمية طريقة لم يُسبقوا إليها ولم تعرف من قبلهم بوضعهم قواعد وشروط متأثرين بذلك بطريقة الفلاسفة وحركة الترجمة للفلسفة اليونانية التي حصلت في العصر العباسي.

فيرى أبو علي الجبائي من المعتزلة: أن الشك هو أول الواجبات على المكلف؛ لأن القصد إلى النظر سابقة شك يقتضي طلب تحصيل الحاصل أو وجود النظر مع ما يمنعه[1].

ويرى الباقلاني أن أول الواجبات هو: القصد إلى النظر ومعرفة الأوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله تعالى وتوحيده وما هو عليه من صفات إلا بامتلاكها [2].

كما يرى القاضي عبد الجبار من المعتزلة: أنه لا يستدل على الله إلا بالنظر، وأنَّ نظر القلب، وحقيقة ذلك هو الفكر؛ لأنه لا ناظر بقلبه إلا مفكراً، ولا مفكر إلا ناظراً بقلبه، وبهذا تُعلم الحقائق"[3].

وكذلك الرازي يرى أنّ ترتيب تصديقات في الذهن ليتوصل بها إلى تصديقات أخرى، والتصديق: هو إدراك النسبة بين مفردين فأكثر، وهذه النسبة إما موجبة وإما سالبة[4].

وينظر الإيجي في بيان اتفاق الأشاعرة مع المعتزلة أنَّ النظر في معرفة الله تعالى، أي: لأجل تحصيلها واجب إجماعاً منا ومن المعتزلة [5].

---

[1] ينظر: العتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، ص9، الباقلاني: أبو بكر بن الطيب، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1993م)، ص13.

[2] ينظر: الإيجي: المواقف في علم الكلام، ج1، ص166.

[3] ينظر: العتوم، الليث صالح عتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، (المملكة الأردنية الهاشمية دار الإفتاء العام، د.ط، 2022م) ص7. وينظر: آبادي، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق: محمد مصطفى علي، أبو الوفا الغنيمي، (مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط، د.ت)، ج4، ص12.

[4] ينظر: العتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، ص8، وينظر الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، (لبنان، بيروت: دار عالم الكتب د.ط، د.ت)، ج1، ص162.

[5] ينظر: العتوم، الليث صالح عتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، ص7، وينظر: الآمدي، علي بن أبي علي، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أحمد محمد مهدي، (المكتبة القومية، مركز تحقيق التراث، ط2، 2004)، ج1، ص63.

ISSN : 2410-1818

فذهبت المعتزلة والأشاعرة إلى أن "أول الواجبات على المكلف هو النظر لمعرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يُعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن يعرف بالتفكر والنظر، والنظر متعلق بما يقترن به من القرائن" [1].

وقد خالف ابن تيمية جميع طرق المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وماتريدية سالكاً بذلك طريقته، التي سنذكرها تفصيلاً في المبحث اللاحق.

وتحقيق القول بأن المتكلمين لا يخالفون القرآن صراحة، بل يقولون إن هذه الأدلة التي قلنا بها جاء بها القرآن ودلَّ عليها، من الأمر بإعمال العقل والتفكر قال تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [سورة يوسف:109]. وإنما هذا من تقريب العلوم وترتيبها، كما في دليل الحركة والسكون ويستشهدون بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأن الأفول وإن كان معناه الغيبوبة فهي لا تكون إلا بعد حركة وسكون، ورُدَّ عليهم بهذا ردود طويلة ليس هنا محل بسطها وإنما تبيين وجهة نظرهم في المسألة، وأنهم لا يعارضون القرآن صراحة.

ولقد كان منهج أهل هذه القرون: مختلفاً عن منهج أهل القرون الثلاثة الأولى، في إثبات وجود الله "عزَّ وجلَّ"، والطريقة التي أتت بها طوائف المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة على طرق الاستدلال العقلي على وجود الله تعالى، جديدة ولم تكن تعرف من قبل.

ولقد كان موقف ابن تيمية منهم موقفاً معارضاً لهذه الطريقة معارضة شديدة، يقول -رحمه الله- راداً عليهم بهذه الطرق التي استدلوا بها في أدلة وجود الله: بخلاف طريقة أهل الكلام والفلسفة؛ الذين يستعملون فيه قياس الشمول الذي تتساوى أفراده، أو قياس التمثيل[2].

ومع ذلك فابن تيمية حينما يذكر هذه الطرق لا يجعلها باطلة محضة لا حق فيها، بل يُفصِّل بذلك، فيقول رحمه الله: "وتحقيق الأمر أن الأدلة المذكورة نوعان: حق وباطل، والحق نوعان: أحدهما فيه تطويل لا يحتاج إليه كل أحد، والباطل مذموم مطلقا، والتطويل الذي يذكر على سبيل الحاجة إليه مع أنه يمكن الاستغناء عنه، مذموم أيضاً، وأما التطويل الذي قد ينتفع به بعض الناس أو يحتاج إليه بعضهم فإذا ذكر على هذا الوجه، فهو حسن " [3].

---

[1] ينظر: العتوم، الليث صالح عتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، ص8، وينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم الأصول، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، د.ت)، ج1، ص105.

[2] **ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح الأصبهانية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، (مكتبة دار المنهاج، ط1، 1430 هـ، 2010م)، ص393.**

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (مصر، مكتبة ابن تيمية، ط2، ١٤٠٦ هـ)، ج2، ص231.

ISSN : 2410-1818

وخلاصة هذا المطلب أن ابن تيمية يرى أن طريقة أهل الكلام في إثبات وجود الله وإن كانت خاطئة وفيها تطويل لا حاجة له، فهي ليست باطلة محضة، بل يُفصِّل ويجعل بعضها حقاً وبعضها باطلاً، وأن الذي يقع في نفسه ريب في وجود الله ولا يزول هذا الشك الذي فيه إلى بها، فيصار إليها حينها اضطراراً.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: طريقة ابن تيمية في إثبات وجود الله

المطلب الأول: البدائل التي قدَّمها ابن تيمية في الاستدلال على وجود الله

البدائل التي قدَّمها ابن تيمية جاءت في نقوده لطريقة الفلاسفة والمتكلمين، ولم يعقد ابن تيمية حسب اطلاعي مبحثاً خاصاً في ذكر أدلة وجود الله، وإنما يذكرها عرضاً خلال نقوده.

ويرى ابن تيمية أنَّ طريقة المتكلمين معقدة وصعبة، وأنها تخالف مقاصد الشريعة في التيسير على الناس، لاسيما فيما يحتاجونه ضرورة، بل لا يصح إيمان المكلف إلا بها، فلا يمكن تكون بهذه الصعوبة التي وضعها المتكلمون حسب وصفه، وأنَّ هذا يخالف مقتضى التيسير التي جاءت به الشريعة.

بل يشدد ابن تيمية على طريقة المتكلمين ويصفها بألذع الأوصاف، متهماً إياها بأنه قد توصل للزندقة والضلال، حيث يقول رحمه الله : "حتى يبقى في الباطن منافقاً زنديقاً، وفي الظاهر متكلّماً يذب عن النبوات ولهذا قال أحمد وغيره من السلف: علماء الكلام زنادقة، وما ارتدى أحد بالكلام إلا كان في قلبه غل على أهل الإسلام؛ لأنهم بنوا أمرهم على أصول فاسدة أوقعتهم في الضلال"[1] .

ويرى ابن تيمية "رحمه الله" أنَّ هذه الطرق الذي سلكها المتكلمون لا فائدة منها أصلاً في التدليل على وجود الله، حيث يقول رحمه الله: "ولهذا كان عامة هؤلاء مقرين بالصانع معترفين به قبل أنْ يسلكوا هذه الطريق النظرية سواء كانت صحيحة أو باطلة، وهذا أمر يعرفونه من أنفسهم"[2]، فيجعل ابن تيمية إثبات وجود الله معروف في النفوس قبل أن يسلك المتكلم هذه الطريقة، ويرى أن طريقتهم لا فائدة منها أصلاً.

ويقول أيضاً "وكثير من الناس يقول: إنَّ هذه الطريق لم تفدهم إلا شكاً وريباً وفطرة هؤلاء أصح فإنها طرق فاسدة. ومنهم من يقول: لم يحصل لي بها شيء لا علم ولا شك. وذلك أنها لم تحصل له علماً ولا سَلَّمَهَا فلم يتبيَّن له صحتها ولا فسادها. ومن الناس من لا يفهم مرادهم بها، وأكثر أتباعهم لا يفهمونها، بل يتبعونهم تقليداً وإحساناً للظن بهم"[3] ويقول ابن تيمية : "وهؤلاء أخطؤوا من وجوه منها: دعواهم أن الربّ تعالى لا يُعرف إلا بهذه الطريق، ومنها: دعواهم أنها أول واجب على العباد، ومنها: التزامهم للوازمها ؛ كنفي الصفات والأفعال، أو رؤية الله، أو غير ذلك من اللوازم المبسوطة في غير هذا

---

[1] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1425 هـ) ص 155.

[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج16، ص461.

[3] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج16، ص461.

ISSN : 2410-1818

الموضع، وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنَّ الرسول لم يدع أحدا بهذه الطريقة فضلًا عن أنْ يوجبها على كل مكلف ولا سلك هذه أحد من الصحابة "[1].

وهذا النقل عن ابن تيمية واضح في تبنيه أنَّ وجود الله لا يحتاج إلى دليل، ويعضد كلامه بأن النبي "صلى الله عليه وسلم" لم يعرف أنه علم أصحابه أدلة وجود الله، ولم يذكر ذلك عن الصحابة.

وفي رده على دليل الحدوث عند المتكلمين يقول: "الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها على وجود الخالق "سبحانه وتعالى"، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدث، لا يحتاج أنْ يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له ووجوب تناهي الحوادث، والفرق بين الاستدلال بحدوثه والاستدلال على حدوثه بَيِّنٌ، والذي في القرآن هو الأول لا الثاني كما قال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور : 35] "[2]. ومن هذا القول نستطيع نأخذ أنَّ من منهج ابن تيمية في الاستدلال على وجود الله بخلقه كما سيأتي في مبحثه إنْ شاء الله تعالى.

ويقول في رسالته الأصبهانية راداً على أدلة المتكلمين في وجود الله : "وأن لا يمكن معرفة الصانع تعالى، وأنه خلق السماوات والأرض، وأنه أرسل رسوله محمداً بكلامه الذي أنزله عليه - إلا بنقيض قولهم الفاسد "[3].

ويعلّل ابن تيمية بدعية هذه الطريقة فيقول: "وأما كون طريقكم مبتدعة ما سلكها الأنبياء ولا أتباعهم ولا سلف الأمة؛ فلأن كل من يعرف ما جاء به الرسول - وإنْ كانت معرفته متوسطة لم يصل في ذلك إلى الغاية - يعلم أنَّ الرسول "صلى الله عليه وسلم" لم يدع الناس في معرفة الصانع وتوحيده وصدق رسله إلى الاستدلال بثبوت الأعراض، وأنها حادثة ولازمة للأجسام؛ وما لم يخل من الحوادث فهو حادث؛ لامتناع حوادث لا أول لها"[4].

ومن خلال بحثي في الموضوع وجدت أنَّ أهل الكلام مختلفون كذلك في هذه الطريقة فمنهم من يثبتها ومنهم من ينكرها كأبي الحسن الأشعري[5]، وقد ذكر ذلك ابن تيمية خلال رده عليهم حينما قال: "فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً -"صلى الله عليه وسلم"- لم يدع الناس بها

---

[1] ابن تيمية، شرح الأصبهانية، ص154.

[2] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج7، ص219.

[3] ابن تيمية، شرح الأصبهانية، ص379.

[4] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (دار العطاء – الرياض، ط1، 1422 هـ – 2001م) ج2، ص32.

[5] ينظر: الإيجي، المواقف ج1،ص 162.

ISSN : 2410-1818

إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره، بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكروا أنها محرمة عندهم"[1].

وفي الحقيقة ردود ابن تيمية عليهم طويلة جداً، ولو عمدنا لذكرها كلها لطال علينا البحث، لكن المقام مقام اختصار حسب الإمكان.

ومن خلال ردود ابن تيمية هذه نعرف طريقته في إثبات وجود الله، أنَّ وجود الله يُعْرَف بالفطرة ويُعرف بمخلوقاته وآياته الظاهرة بالكون الدالة عليه، وأن التطويل بهذا التقعيد ليست طريقة صحيحة، لأن الله لا يمكن أنْ يجعل الإيمان به بهذه الصعوبة والتكلف وأنْ يكون الدليل أصعب من المدلول، وأنها طريقة مخالفة لهدي القرآن والسنة النبوية المطهرة وسلف الأمة.

ومن خلال دراستي توصلت أن أدلة ابن تيمية على وجود الله اثنان:

1- دليل الفطرة.
2- دليل الخلق.

دليل الفطرة:

الفطرة في اللغة: هي الابتداء والاختراع، وهي الخِلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، والفطرة منه الحالة، كالجِلْسة والركبة، والمعنى أنّه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين[2].

فيجعل ابن تيمية في تقريراته وردوده أنَّ الفطرة هو ما أودعه الله في النفس البشرية، وما تجده النفس من الضرورة القائمة فيها من وجود الله، فيقول رحمه الله: "والكتاب والسنة دلّ على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله، الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أن ذلك موجب فطرتهم، وبمقتضاها يجب حصوله فيها، إذا لم يحصل ما يعوقها، فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء مانع"[3]. ويفسِّر ابن تيمية الموانع أنها الذنوب التي تجتال الناس وتصرفهم عن

---

[1] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ج1، ص39.

[2] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (فطر) ج5، من ص55 إلى 60، وينظر أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د.ط، 1399هـ - 1979م)، مادة (فطر)، ج4،ص510.

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ج8، ص454.

ISSN : 2410-1818

فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، فيقول أن اليهود يعرفون الحق في نفوسهم لكن صدهم عن إتباع الحق الحسد الذي في نفوسهم[1].

ويستدل ابن تيمية على دليل الفطرة بآية الميثاق، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[سورة الأعراف:172].

يقول ابن تيمية: "فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أنّ اللّه وحده هو ربّهم، كان معهم ما يبيِّن بطلان هذا الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من إتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبويّة، كما قال "صلى اللّه عليه وسلم" : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجّسانه»[2]، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجّون بها، وهذا يقتضي أنّ نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد، حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول؛ فإنّه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا. وهذا لا يناقض قوله تعالى: ﴿وَمَاكُنَا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، فإنّ الرسول يدعو إلى التوحيد، لكن إن لم يكن في الفطرة دليل عقلي يعلم به إثبات الصانع، لم يكن في مجرد الرسالة حجّة عليهم، فهذه الشهادة على أنفسهم التي تتضمن إقرارهم بأن اللّه ربهم، ومعرفتهم بذلك، وأنّ هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم، به تقوم حجة اللّه تعالى في تصديق رسله[3].

ويتضح مراد ابن تيمية من الفطرة أنه شيء مجبول في خلقة الإنسان يرشده لفعل الصواب وجلب الخير، كحب الصدق وكراهية الكذب، وبر الوالدين فضيلة، وعقهما رذيلة، وتقبيح السرقة وقطع الطريق معلوم بالفطرة، ودفع المضار، وكره الشر، ولذلك يقول: "فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض[4]، فبسبب هذه القوة التي أودعها اللّه في الإنسان، فإنه يمكنه معرفة اللّه.

---

[1] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (السعودية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1425هـ - 2004 م)، ج7، ص528.

[2] رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم (1358)، ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (2658).

[3] ينظر: ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل ج8، ص491.

[4] ينظر: ابن تيمية، درء تعارض النقل والعقل، ج8، 383.

ISSN : 2410-1818

ولكن يمكن أن تفسد هذه الفطرة، ولهذا السبب نجد منكرين لوجود اللّه عزَّ وجلَّ في العالم، ولذلك يرد ابن تيمية: "الإقرار بالخالق فطريّ ضروري في جبلات الناس، لكن من الناس من فسدت فطرته، فاحتاج إلى دواء، بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضروريّة، وهؤلاء يحتاجون إلى النظر، وهذا الذي عليه جمهور الناس أنّ أصل المعرفة قد يقع ضرورياً فطرياً وقد يحتاج فيه إلى النظر والاستدلال[1].

فالجهمية والقدرية الذين قالوا إن معرفة اللّه غير ممكنة إلا عن طريق العقل، فاسدوا الفطرة، فإن الفطرة قد تفسد وقد تزول، وقد تكون موجودة، ولكن يغلب عليها العمى[2].

لهذا يجعل ابن تيمية دليل الفطرة من أهم أدلة وجود اللّه، ويعني بذلك الفطرة السليمة قبل أنْ تنحرف أو تبدَّل عما أودعها اللّه عليها من معرفة الخالق والإقرار به "سبحانه وتعالى".

دليل الخلق:

من الأدلة التي أكثر ابن تيمية من ذكرها في أدلة وجود اللّه، هو دليل الخلق، فيجعل وجود المخلوق دليل لوجود الخالق، حيث يقول: "وجميع المخلوقات آيات للخالق تعالى؛ فإنها مستلزمة لذاته المعيَّنة؛ فإنه يمتنع وجود شيء من المخلوقات إلا بوجود نفسه المقدسة المعيَّنة، إلى أنْ قال: يمتنع وجوده بدون وجود الخالق ؛ فيمكن الاستدلال به على عين الخالق"[3] ويقول أيضاً: " ولهذا كانت طريقة الأنبياء "صلوات اللّه عليهم وسلامه" الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته"[4] ويجعل ابن تيمية هذا الدليل من أقوى الأدلة على وجود اللّه وأنه أقوى من القياس حيث يقول: " وقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [سورة الرعد : 4]، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل : 11]، وغير ذلك فإنه يدل على المعين كالشمس التي هي آية النهار وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا**﴾ [سورة الإسراء : 12]. والدليل أتم من القياس؛ فان الدليل قد يكون بمعين على معين كما يستدل بالنجم وغيره من الكواكب على الكعبة فالآيات تدل على نفس الخالق سبحانه لا على قدر مشترك بينه وبين غيره؛

---

[1] ينظر: ابن تيمية جامع الرسائل، ج1، ص14.

[2] ينظر: درة بنت محمد بن عيسى المسلمي، دلالة الفطرة على وجود الله عند ابن تيمية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، (مصر، المنيا، كلية دار العلوم، مجلة الدراسات العربية)، ص1644.

[3] ابن تيمية، الرد على المنطقيين ص152-153.

[4] ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص150.

ISSN : 2410-1818

فان كل ما سواه مفتقر إليه"[1] ويكمل "فإن هذا تقسيم حاصر يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم فهذا ممتنع في بداهه العقول أم خلقوا أنفسهم فهذا أشد امتناعاً فعلم أن لهم خالقا خلقهم"[2]. ويقول "فكلما كان الناس إلى معرفة المطلوب أحوج، كان معرفة أدلته واستيعابه إلى عقولهم أسهل، وهذا من نعمة الله بأن سهل أدلة إثبات الصانع وتوحيده وأعلام النبوة[3].

وقد تكلَّم ابن تيمية في دليل الخلق كثيراً وخلاصته هو جواب السؤال البديهي من خلق هذا الكون؟ سيجيب جميع الناس بأنه الله، عدا من شذَّ وألحد فيناقش ويرد عليه حسب شبهته التي غيَّرته.

[1] ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص345.

[2] ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص253.

[3] ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج9، ص213)، وابن تيمية، الرد على المنطقيين (252)

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: قياس الأولى بحق الله عند ابن تيمية

من المصطلحات التي أثيرت على ابن تيمية "رحمه الله"، قوله "بقياس الأولى بحق صفات الله "سبحانه وتعالى""، مما لم يسبقه أحد بهذا المصطلح حسب بحثي، مما يثير إشكالاً على ابن تيمية وطريقته، فكيف يجيز لنفسه ما يحرمه على خصومه فمثلاً هو ينتقد طريقة المتكلمين بإثبات وجود الله باستخدامهم طرق ومصطلحات لم يسبقهم بها من أحد، وأن هذه الطرق الذي أتو بها ابتدعوها من تلقاء أنفسهم ولم يأتي بها قرآن ولا سنة، ولم يقل بها أحد من الصحابة ولا التابعين ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ويكمن الإشكال هنا أنه هو أتى بمصطلح لم يسبقه إليه أحد فهل هذا تناقض منه؟ أما أن المسألة مختلفة تماماً عن سابقاتها، هذا ما سنحاول رصده في مطلبنا هذا.

فماذا الذي يعنيه ابن تيمية بقياس الأولى بحق صفات الله "سبحانه وتعالى" ؟

القياس لغة هو: تقدير الأشياء بغيرها [1].

وهناك كثير من الآيات الناهية عن ضرب الأمثال لله "سبحانه وتعالى"، كقوله تعالى: ﴿ **فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل:74]. وكقوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[سورة الشورى:11]. ومنهج ابن تيمية واضح في منع التمثيل والتشبيه بحق الله، وقياس الأولى بحق الله مختلف تماماً عن ضرب الأمثال بحق الله تعالى الذي تتساوى فيه جميع أجزاءه وبين قياس الأولى الذي يقول به ابن تيمية.

قال ابن تيمية: "العلم الإلهي لا يجوز أنْ يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده؛ فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أنْ يمثل بغيره، ولا يجوز أنْ يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها؛ ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب؛ لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها، ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى"[2]. ويقول رحمه الله "وهذا مقتضى قولهم: "كمال المعلول مستفاد من كمال علته"[3]، ولكن نحن ننزه الله "عزَّ وجلّ" عن إطلاق هذه العبارة في حقه، بل نقول: كل كمال ثبت للمخلوق غير مستلزم للنقص فخالقه ومعطيه إياه أحق بالاتصاف به، وكل نقص في المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه؛ كالكذب

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6ص 187.
[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج3، ص297.
[3] ينظر: ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن، الإلهيات من كتاب الشفاء، بيروت: دار الكتب العلمية، 2024م، ص310.

ISSN : 2410-1818

والظلم والسفه والعبث، بل يجب تنزيه الرب تعالى عن النقائص والعيوب مطلقاً، وإن لم يتنزه عنها بعض المخلوقين"[1].

وقول ابن تيمية "كل كمال للمخلوق فالله أولى به"[2]، يرد عليه عدة اعتراضات، فهناك بعض الكمالات للمخلوق هي نقص منزه عنها الله سبحانه كالإنجاب للمخلوق، ويجاب عنها بأنها ليست كمالاً مطلق بحق المخلوق، فالمخلوق محتاج لهذا الوالد والله غني قال تعالى : ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة يونس:68]. وقد يورد إشكالاً آخراً وهو مثلاً استقامة القامة للمخلوق أليست صفة كمال للمخلوق، فيجاب بلى لكنها ليست كمال مطلق لأن المخلوق محتاج لهذه القامة، ويطرأ عليها النقص مثل المرض والهزل والله غني عنها "سبحانه وتعالى" وليس له إلا الكمال المطلق سبحانه، ومثلها الركبة للمخلوق فهو يحتاج لها وقد يطرأ عليها الضعف والله القوي الغني، وهكذا في كل صفة، فابن تيمية "رحمه الله" لم يطلق القول بأن أي صفة كمال للمخلوق فالله أولى بها، بل قال لا نقص فيها بوجه من الوجوه[3]، ومن خلال تتبعي لكلام ابن تيمية فلم يورد هذه القاعدة على الصفات بلا عقال ولا قيد بل جعل لها شروطاً كما سيأتي، وإن كانت صفة العلم والقدرة للمخلوق بحد ذاتها صفات كمال فهي عند إضافتها للمخلوق تصبح ناقصة بحقه فمثلاً المخلوق ناقص بطبعه فصفة العلم حينما يعلم المخلوق فهو علم بعد جهل ويلحقه نسيان وغيره وهذا ممتنع بحق الله تعالى، وصفات العلم والحياة والقوة مثلاً هي بحد ذاتها للمخلوق صفة كمال والله أولى بهذا الكمال من كل وجه فلا يسبق علمه سبحانه جهل ولا يلحق علمه نسيان وله العلم المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، وإن كان ابن تيمية لم يقيد القاعدة إلا بقوله كمال مطلق لا نقص فيه بوجه من الوجه.

وأخيراً لا يجوز فهم هذه القاعدة بعيداً عن كلام ابن تيمية ومنهجه في الأسماء والصفات، فمعلوم أنَّ منهج ابن تيمية في الصفات منهج نصي، فيثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته رسوله له بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إذاً لا تعارض بين القاعدة وبين نصوص ابن تيمية الأخرى التي تثبت لله الصفات الثابتة في القرآن والسنة وتنفي عنه النقائص والتشبيه بالمخلوقين.

لهذا نستطيع القول أن لهذه القاعدة أو هذا المصطلح الذي أطلقه ابن تيمية شروط :

1- ألا يكون فيه نقص بوجه من الوجوه.

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج3، ص297.

[2] ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج6، ص570.

[3] ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج3، ص22.

ISSN : 2410-1818

2- لا يكون مستلزماً للعدم، فهذا لا يوصف الله به، والواجب وصفه سبحانه بصفات كاملة وجودية، لا صفات مستلزمة للعدم[1].

وكذلك هذه القاعدة كما أنها تستخدم في الإثبات في صفات الكمال المطلق لله، فيستخدمها ابن تيمية أيضاً في نفي صفات النقص عن الله "سبحانه وتعالى"، بقول ابن تيمية : "يقول تعالى: إذا كنتم أنتم لا ترضون بأن المملوك يشارك مالكه؛ لما في ذلك من النقص والظلم، فكيف ترضون ذلك لي وأنا أحق بالكمال والغنى منكم؟!... فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق بثبوته منه إذا كان مجرداً عن النقص، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص وعيب فالخالق أولى بتنزيهه عنه"[2]، وهذا النقل لابن تيمية يعضد كلامنا السابق، والتقييد الذي أطلقه ابن تيمية بأن أي صفة كمال للمخلوق مجردة عن النقص، فالله أولى بها على صفة الكمال المطلق.

وهذان النقلان لابن تيمية -رحمه الله- تبينان وتشرحان هذا المصطلح، الذي استسقاه من القرآن والسنة النبوية، وجعله في هذا المصطلح الجديد: (قياس الأولى) ومن الأدلة على هذه القاعدة:

1- قول الرسول "صلى الله عليه وسلم" لأصحابه: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا والله، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[3].
2- قول الرسول "صلى الله عليه وسلم" لأبي مسعود "رضي الله عنه" لما ضرب مملوكه: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»[4].
3- قول الرّسول "صلى الله عليه وسلم": «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفلاة»[5]. ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أن جعل صفة الرحمة والقدرة التي هي في المخلوق صفة كمال، متوافرة في حق الله بشكل أكمل، كمالاً مطلقاً لا يعتريه النقص بأي وجه من الوجوه[6].

---

[1] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، ١٤٢٦ هـ) ج4، ص338.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج8، ص6.

[3] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم (5999).

[4] صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده، حديث رقم (1659).

[5] صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، حديث رقم (6308).

[6] ينظر: الموسوعة العقدية، من موقع الدرر السنية رابط: https://dorar.net/aqeeda/417

ISSN : 2410-1818

ومن الأدلة التي تذكر في قياس التنزيه:

قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [سورة الروم:28].

وأما من سبق ابن تيمية لهذا الكلام فقد استخدمها السلف في شرحهم وكلامهم كثيراً، ولا غرابة في ذلك إذا تبيَّن معنا أنها مستوحاة من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، قال أحمد بن حنبل، ومِن ذلك: قَولُه: "أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً يقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [سورة النساء: 145][1].

وفي ختام هذا المطلب يتبيَّن لنا أنَّ قياس الأولى الذي جاء به ابن تيمية وإنْ كان جديداً في لفظه فهو عتيق بمعناه ومضمونه، وأنه مصطلح مستسقى من نصوص القرآن والسنة وفهم سلف الأمة ولا يوجد ما يعارضه فلا مشاح في المصطلحات إذا كانت المعاني والمضامين مستقيمة صحيحة، وأنَّ ابن تيمية "رحمه الله" لم يحمل الناس عليه كمصطلح، ويجعل صحة إيمانهم بلفظه إذ اعتقدوا أنَّ لله الكمال المطلق لله الذي لا يداني كماله كمال، وأنه "سبحانه وتعالى": ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[سورة الشورى: 11].

[1] خالد الرباط، سيد عزت عيد، محمد أحمد عبد التواب، الجامع لعلوم الإمام أحمد – العقيدة، (مصر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، ط1، 1430 هـ – 2009 م)، ج3، ص303.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

اتضح من خلال الدراسة أنَّ جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام متفقة على وجود اللّه "سبحانه وتعالى"، بل جميع الأديان والملل والنحل، وكان القرآن يقرر هذه الحقيقة حتى عند الكفار والمشركين، إلا ما ذكر عن فرعون والنمرود بإنكار وجود اللّه صراحة مع إيمانهم بوجوده "سبحانه وتعالى" في قرارة أنفسهم، إلا هذه الطوائف المنتسبة للإسلام اختلفت بطريقة التدليل على وجود اللّه "سبحانه وتعالى" من جهة الأدلة والبراهين، فطائفة عظَّمت العقل في الدلالة عليه "سبحانه وتعالى" كطوائف الفلاسفة كابن سينا والفارابي الذين تأثروا بالفكر اليوناني، والمعتزلة وبعض الأشاعرة من المتكلمين على اختلاف بينهم، وهؤلاء كما مرَّ بنا جعلوا الدليل أصعب من المدلول.

وقد بان لنا أنَّ ابن تيمية يرى بأن وجود اللّه لا يحتاج إلى دليل، إذ أن كل المخلوقات والآيات دالة عليه، وللضرورة القائمة بالنفس من الافتقار والحاجة إليه "سبحانه وتعالى"، والفطرة التي أودعها اللّه في نفوس الناس، فطرة اللّه التي فطر الناس عليها.

ومن البيِّن أنَّ ابن تيمية بقناعته في طرحه في هذه المسألة لم يعقد في كتبه ولا رسائله، مباحث أفرد فيها الأدلة على وجود اللّه "سبحانه وتعالى"، وإنما أتت في سياق نقوده على الفلاسفة والمتكلمة في تغليطهم بطريقتهم التي سلكوها في التدليل على وجود اللّه وبيان فساد منهجهم.

كما أظهر البحث شدة ابن تيمية على الطرق التي سلكها المخالفون من المتكلمين في إثبات وجود اللّه، وبيان أنها طريقة مبتدعة مخالفة لطريقة القرآن وهدي سيد الأنام، وصالحي سلف الأمة من الصحابة "رضوان اللّه عليهم" والتابعين وتابعيهم.

وتبيَّن من خلال الدراسة أنَّ ابن تيمية يقول بقياس الأولى بحق اللّه "سبحانه وتعالى"، وبيَّنا في ثنايا هذا البحث أن هذا المصطلح استنبطه ابن تيمية من معاني القرآن والأحاديث الشريفة، وأنَّ معانيه معاني صحيحة مستقيمة مع مقاصد القرآن والسنة، وأن ابن تيمية رحمه اللّه، لم يحمل الناس عليه، ولم يجعل صحة إيمانهم به.

وأخيراً يوصي الباحث إلى دراسة سبل التوفيق بين آراء ابن تيمية في مسألة أدلة وجود اللّه المقاربة والمفارقة مع طوائف المتكلمين، وتحقيق القول فيما يمكن به التوفيق وما يمتنع، وذكر الأسباب المعينة إلى ذلك.

ISSN : 2410-1818

المراجع:

1. آبادي، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، ت: محمد مصطفى علي، أبو الوفا الغنيمي، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.ط، د.ت.
2. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (السعودية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1425 هـ - 2004 م).
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ط، د.ت.
4. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصفدية، ت: محمد رشاد سالم، مصر، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1406 هـ.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ت: مجموعة من المحققين، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426هـ.
6. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، جامع الرسائل، ت: محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، ط1، 1422هـ- 2001م.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411 هـ - 1991 م.
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح الأصبهانية، ت: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1430 هـ، 2010م.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح العقيدة الأصفهانية، ت: محمد بن رياض الأحمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1425 هـ.
10. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، السعودية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط 1425 هـ - 2004 م.
11. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
12. أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، ت: فتح الله خليف، مصر، الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، د.ط، د.ت.
13. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، د.ط، 1399هـ - 1979م).
14. أحمد مختار عبد الحميد عمر ت 1424هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1 1429 هـ - 2008 م.

ISSN : 2410-1818

15. الأزهري، أبي منصور محمد الأزهري الهروي ت370، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، لسنة 2001م.
16. ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن، الإلهيات من كتاب الشفاء، بيروت: دار الكتب العلمية، 2024م.
17. الآمدي، علي بن أبي علي، أبكار الأفكار في أصول الدين، ت: أحمد محمد مهدي، المكتبة القومية، مركز تحقيق التراث، ط2، 2004.
18. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، لبنان، بيروت: دار عالم الكتب د.ط، د.ت.
19. الباقلاني، أبو بكر بن الطيب، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: محمد زاهد الكوثري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1993م.
20. التفتازاني: مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد، ت: إبراهيم شمس الدين، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2011م.
21. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: عدد من الباحثين. دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ - 2015 م.
22. الجرجاني الشريف، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت 816 هـ، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط1، 1403 هـ -1983م.
23. خالد الرباط، سيد عزت عيد، محمد أحمد عبد التواب، الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة، (مصر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، ط1، 1430 هـ - 2009 م).
24. درة بنت محمد بن عيسى المسلمي، دلالة الفطرة على وجود الله عند ابن تيمية، بحث مقدَّم لنيل شهادة الدكتوراة، (مصر، المنيا، كلية دار العلوم، مجلة الدراسات العربية).
25. الرازي، احمد بن فارس القزويني ت395، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ 1979م.
26. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، الأربعين في أصول الدين، ت: أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، د.ت.
27. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم الأصول، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، د.ت.
28. الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم، شرح مختصر الروضة، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1407 هـ / 1987م.

ISSN : 2410-1818

29. العتوم، الليث صالح عتوم، مناهج المتكلمين في إثبات وجود ربّ العالمين ومقدماتها، (المملكة الأردنية الهاشمية دار الإفتاء العام، د.ط، 2022م).
30. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
31. الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د.م: د.ط.
32. الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، رسائل الكندي الفلسفية، ت: محمد عبد الهادي أبز ريدة، دار الفكر العربي، د.ط، 1950.
33. يوسف كرم، الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـة مفهرسـة فـي المواقـع الآتيـة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59